مجلة (لغة – كلام) تصدرعن مخبراللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 10/ العدد: 02- أفريل (2024)

تاريخ الاستلام: 2023/09/03 تاريخ القبول: 2024/03/30 تاريخ النشر: 2024/04/15

علاقة الأوزان الشعرية بالمعاني
- دلالة بحر المتقارب على السرعة في قصائد المتنبي أنموذجا –

عيسى ياحي[1]
Aissa.yahi@univ-alger.dz
جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله، الجزائر

إسراء هيب [2]
israahb2019@gmail.com
جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله، الجزائر

The relationship between rhythms and meanings
The significance of Al Motakarib Meter on speed in the poems of Al-Mutanabi as a model.

Aissa Yahi [1]
Aissa.yahi@univ-alger.dz
Algeriers 2 University, Abu al-Qasim
Saadallah, Algeria

Israa Haib [2]
israahb2019@gmail.com
Algeriers 2 University, Abu al-Qasim
Saadallah, Algeria

[1] المؤلف المرسل: عيسى ياحي

مُلخّص البحث

يتناول هذا البحث قضية العلاقة بين الوزن والمعنى، هذه القضية التي أثارها النقاد والعروضيون منذ القديم، وقد حاولنا الكشف عن هذه العلاقة في ديوان المتنبي من خلال عرض نماذج من شعره منظومة على بحر المتقارب قصد تلمّس دلالة هذا البحر على السرعة، و إثبات وجود علاقة بين الأوزان والمعاني تبعا لذلك.

الكلمات المفتاحية: وزن ؛ معنى ؛ بحر المتقارب؛ سرعة؛ المتنبي.

ABSTRACT:

This research deals with the problematic of the relationship between the rhythm and the meaning, this issue that has been raised by critics and scientist of poetry long time ago.

We tried to reveal this relationship in AlMutanabi'sDiwan by presenting samples of his poetry organized on the Almotakarib Meter in order to touch the significance of this meter on speed and prove the existence of a relationship between rhythms and meanings accordingly.

Key words: rhythm; meaning; Almotakarib Meter; speed; Al Mutanabi.

1.مقدمة:

يعتبر الوزن عنصرا أساسيا في تكوين الشعر، ولعل أهميّة الموسيقى تتعدّى الجانب الشكلي، إذ هي " ليست حِلْية خارجية تضاف إلى الشعر، وإنّما هي وسيلة من أقوى وسائل الإيحاء وأقدرها على التعبير عن كل ما هو عميق وخفيّ في النّفس مما لا يستطيع الكلام أن يعبر عنه "[1]، وبالتالي فالموسيقى لها دور ينافس اللّغة في تأدية المعنى؛ من هذه الأهمية التي تكتسيها الموسيقى أثيرت قضية نقدية قديمة وهي علاقة الوزن بالمعنى.

ويعتبر حازم القرطاجنّي أبرز القدامى الذين أثاروا قضية الوزن والمعنى أو الوزن والغرض في كتابه " منهاج البلغاء وسراج الأدباء " متأثرا في ذلك بالشعر اليوناني، حيث يصرح قائلا: " وكانت شعراء اليونانيين تلتزم لكل غرض وزنا يليق به لا تتعداه فيه إلى غيره "[2] أي أن كل بحر يختص بمعنى معيّن، وقد كان أكثر دقة في موضع آخر إذ أنه حاول أن يوجد علاقة بين الوزن والمعنى الذي يؤديه حيث يقول " ولما كانت أغراض الشعر شتّى، وكان منها ما يقصد به الجدّ والرصانة، وما يقصد به الهزل والرشاقة، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم، وما يقصد به الصّغار والتحقير، وجب أن تحاكى تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيّلها للنفوس، فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة، وإذا قصد في موضع قصدا هزليا أو استخفافيا وقصد تحقير شيء أو العبث به حاكى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء، وكذلك في كل مقصد"[3].

وقد تبنّى بعض المحدثين تصوّرا يقارب تصور حازم في هذه القضية ومن هؤلاء سليمان البستاني في مقدمة ترجمته لإلياذة هوميروس، وعبدالله الطيب المجذوب في كتابه المرشد إلى أفهام شعر العرب، وإبراهيم أنيس في كتابه موسيقى الشعر.

وبما أن المقام لا يتسع لسبر أغوار هذه القضية المتشعبة (علاقة الوزن بالمعنى) فإنّنا اقتصرنا على محاولة كشف العلاقة بين الوزن والمعنى من خلال تلمّس دلالة بحر المتقارب على السرعة في ديوان المتنبي من خلال قصائده المنظومة على هذا البحر، لأن هذا البحر " يعدّ من البحور سريعة الإيقاع "[4]، كما أنه " رتيب الإيقاع لأنه مبنيٌّ على تفعيلة واحدة " فعولن "، لكنه متدفق سريع نظرا إلى قصر هذه التفعيلة "[5]، وممّا يجب الإشارة إليه أنّ دراستنا لم تأخذ بعين الاعتبار المقطوعات الشعرية التي تقل عن سبعة أبيات؛ وقد أتى هذا البحث محاولا الإجابة عن الإشكالية الآتية:

إلى أي مدى دلّ بحر المتقارب على السرعة في شعر المتنبي ؟ وفيم تجلت معاني السرعة عند المتنبي في قصائده التي جاءت على بحر المتقارب؟ وهل ظهر معنى السّرعة جليّا في كلّ مُتقاربيّات المتنبّي؟

2. بحر المتقارب وتوظيف المتنبي له :

1.2 بحر المتقارب:

أولا: تسميته:

سمّي المتقارب بهذا الاسم:" لقرب أوتاده من أسبابه والعكس بالعكس "، فبين كل وتدين سبب خفيف واحد، وقيل بل سمّي بذلك لتقارب أجزائه، أي لتماثلها وعدم طولها فكلها خماسية "[6].

وقال ابن رشيق:" وسمّاه الخليل متقاربا لتقارب أجزائه لأنها خماسية كلها لشبه بعضها ببعض "[7].

وقال عنه حازم القرطاجنّي:" إنّ الكلام في المتقارب حسَنُ الاطّراد، إلا أنه من الأعاريض الساذجة المتكررة الأجزاء "[8].

وقال عنه عبدالله الطيب المجذوب:" نغماته من أيسر النغمات وأقل ما يقال فيه أنه بحر بسيط النغم مطّرد التفاعيل منساب، طبلى الموسيقى "[9].

ثانيا: وزنه

المتقارب أحد البحور ثمانية التفاعيل، وتفاعيل هذا البحر من نوع واحد وهي: فعولن.

" وهناك حالات وتفرعات تختلف، وهذا الأصل كدأب مختلف البحور الشعرية "[10]

ومنها أربعة أنواع شائعة[11]:

أ- فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن .

ب- فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولُ.

ج- فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعَلْ.

د- فعولن فعولن فعولن فعَلْ فعولن فعولن فعولن فعَلْ.

ومفتاحه هو:

عن المتقارب قال الخليل فعولن فعولن فعولن فعولن.

2.2 توظيف المتنبي لبحر المتقارب في شعره:

يتميّز أبو الطيّب المتنبّي بموهبة فذّة على نظم الشّعر، واقتدار فريد على بلورة ما يجول في خاطره في قواف، ولذلك فلا عجب أن نراه يركب ما أراد من البحور للتّعبير عمّا يداخله من مشاعر وأحاسيس؛ وما يساوره من هموم وهواجس.

ومن بحور الشّعر التي نجدها حاضرة في ديوان المتنبّي بحر المتقارب الذي استعمله في أربعة وعشرين نظما في ديوانه، أي ما يعادل: 8.33% من الأشعار الواردة في ديوانه، منها أربع عشْرة قطعة شعريّة يقلّ عدد أبياتها عن سبعة، وعشْرة قصائد يربو عدد أبياتها على السّبعة، وهو ما يهمّنا هنا.

3. تجلّيات معنى السّرعة في قصائد المتنبّي المنظومة على بحر المتقارب:

تتوفر في بحر المتقارب كلّ مقوّمات السّرعة، فهو بحر مطّرد التفاعيل منساب، سريع الإيقاع، متقارب الأجزاء، وهو كذلك من البحور الصّافية الموحّدة التفعيلة التي تُسَنّي للشّاعر أن يركّز على الفكرة التي يقصد إليها، وينفذ إلى الهدف الذي يرجوه من شعره[12]، وسنحاول إثبات ذلك من خلال دلالة بحر المتقارب على السّرعة في القصائد التي قالها المتنبّي.

1.3 متقاربيّات المتنبّي التي يبدو فيها معنى السّرعة جلّيّا:

1.1.3 قصيدة يمدح فيها المتنبي سيف الدولة ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن داود من أسر الخارجي:

ومطلع هذه القصيدة هو:

إلامَ طَمَاعِيَةُ العَاذِلِ وَلَا رأْيَ في الحُبِّ لِلْعَاقِلِ[13]

ويتجلّى معنى السرعة في هذه القصيدة في عدة مواضع منها: سرعة استجابة سيف الدولة استغاثة أبي وائل، وسرعة فك أسره ويظهر ذلك في عبارة: "دعا فسمعت" وعبارة: "فلبيته" "، يقول المتنبي من المتقارب:

دعا فسمعتَ وكم ساكتٍ على البعد عندك كالقائـل

فلبّيتَهُ بك في جـحفـلٍ له ضامنٌ وبه كافـــلُ[14]

فرغم بُعد محل الأسير عن سيف الدولة إلاّ أنّ هذا الأخير قد سمع دعوته وكأنّه بالقرب منه، فكانت استجابته سريعة مباشرة بعد سماع نداء الاستغاثة، فالسّرعة تظهر من خلال توالي الأفعال الثلاثة: "دعا، سمع، لبّى ".

وممّا يؤكد هذه السرعة استعمال أبي الطّيّب المتنبي للفاء للربط بين هذه الأفعال الثلاثة، والفاء تفيد الترتيب والتعقيب، والتعقيب يعني عدم وجود فاصل زمني بين الأفعال الثلاثة.

وتظهر السرعة أيضا في هذه القصيدة من خلال تصوير المتنبي لمسيرة جيش سيف الدولة من حلب إلى مكان أسر أبي وائل حيث يقول:

خرجنا من النّقع في عارضٍ ومن عرق الرّكض في وابلِ[15]

فخيل جيش سيف الدولة كانت مسرعة فأثارت من ورائها غبارا كالسّحاب، وتأكّد معنى السرعة صراحة عند المتنبي في الشطر الثاني من هذا البيت من خلال لفظة " الركض "، فالركض وحده يدل على السرعة، ولأنّ الخيل كانت مسرعة تصبّبت عرقا، ولِكي يثبت الشاعر تلك السرعة شبّه العرق لكثرته بالمطر الغزير، وفي البيت الموالي يبين المتنبي المدة التي استغرقها جيش سيف الدولة للوصول إلى مرامه وهي خمس ليال متواصلة دون راحة، وهذا يدل على استعجال الجيش، والاستعجال يتطلب سرعة، ومسير خمس ليالٍ ليس بالهيّن فهو يتطلب راحة، وهذا ما لم يفعله جيش سيف الدولة، وهو دليل آخر على استعجاله، إذ يقول المتنبي:

شَفَنَّ بخمسٍ إلى من طلبْ نا قبل الشُفون إلى نازلِ[16]

ومعنى البيت: " أنّ فرسان هذه الخيل لم ينزلوا من ظهورها خمس ليالٍ حتى بلغوا أبا وائل في ركضة واحدة "[17]، وهذا يدل على استعجالهم كما بيّنا سابقا.

ويعود المتنبي مرة أخرى لتوظيف لفظة "عرق" الدالة على سرعة الخيل حيث يقول:

وما بَيْنَ كاذَتَيْ المُستغيرِ كما بين كاذَتَيْ البائلِ[18]

ومعنى البيت كما قال الواحدي:" أنها (أي الخيل) تعرق في عَدْوِها حتى يسيل العرق بين أرجلها كأنّها تبول"[19]، وهذا دليل آخر على السرعة.

لينتقل المتنبي لوصف حال جيش الأعداء والذي فرّ ونفر من جيش سيف الدولة كما ينفر النحل من العاسل، والنفور والهروب يتطلبان سرعة حيث يقول:

فأَقْبَلنا ينْحزْنَ قُدّامه نوافر كالنّحل و العاسل[20]

ويعود المتنبي إلى مدح سيف الدولة لأنه خاض هذه الحرب وانتصر فيها من غير أن يكون متأهّبا لها، وعدم التأهّب معناه السرعة في اتّخاذ القرار، وهي عادة سيف الدولة في حروبه، وهذا ماجعل أخبار انتصاراته تنتشر بسرعة بين الناس مما أكسبه شهرة، حيث يقول:

ومِثلُ الذي دُسْتَهُ حافيا يُؤَثّر في قدم الناعل

وكم لك من خبرٍ شائعٍ له شيّةُ الأبْلقِ الجائل[21]

ليختم المتنبي قصيدته بحكمة يبيّن فيها حال الدنيا، والتي من أهم مميزاتها سرعة انقلابها من حال إلى حال، فهي:" كالفاجرة تكون كل يوم عند آخر، وهي أخدع من حِبالة الصيّاد "[22]، يقول:

فذي الدّار أخوَنُ من مومِسٍ وأخدَعُ من كفّةِ الحابل[23]

ومجمل القول أن هذه القصيدة تكاد أبياتها كلّها تتمحور حول معنى السرعة بداية بسرعة استجابة سيف الدولة لاستغاثة أبي وائل، ثم سرعة الخيل وهي متوجهة لإغاثته، لتنتهي بتصوير سرعة تقلّب أحوال الدنيا.

2.1.3 قصيدة قالها لمّا دخل الكوفة يصف طريقه من مصر ويهجو كافورا:

وقبل خوضنا في هذه القصيدة يتجلّى لنا معنى السرعة في مناسبتها لأنّ سبب سفر أبي الطيّب المتنبي من مصر إلى الكوفة هو فراره من كافور، والفرار يستلزم السرعة، وهو ما يؤكّده مضمون القصيدة، فقد استهلّها المتنبي بإخبارنا بأنه يفضّل مشية الهَيدَبا " والهَيدَبا مِشية فيها سرعة من مشية الإبل على مشية الخَيزلى، والخَيزلى مشية فيها استرخاء من مشية النساء "[24]، أي أن المتنبي يفضّل المشية السريعة على المشية البطيئة لأنه رجل أسفار، ثم إن سفره هذا كان لفراره من الموت مما يستدعي سرعة حيث يقول من المتقارب:

ألا كلُ ماشية الخيزلى فِدا كلَّ ماشية الهيدبى[25]

ثم يؤكّد المتنبي أنّ تفضيله للناقة السريعة ليس حبا للسرعة في حد ذاتها ولكن لأنّه محتاج إلى السرعة في هذا الموقف، فالنّاقة السريعة مثّلت طوق نجاة بالنسبة له لأنها حملته من أرض الموت والمهالك إلى أرض النجاة والحياة، كما أنّه لم يختر طريقا معلومة مأهولة أثناء هروبه من كافور بل قامر واختار طريقا خالية من الإنس مأهولة بالحيوانات المفترسة والجنّ، فإمّا النّجاة وإمّا الهلاك، وما أحوج المرءَ في هذا المقام إلى السرعة، وهذا يفسّر تفضيل المتنبي للنّياق السريعة حيث يقول:

وكـلُّ نجــاةٍ بَجاويّة خَنوفٍ وما بيَ حُسْنُ المِشى
ولكنّهن حِبــال الحيـاة وكيدُ العُداة ومَيـْطُ الأذى
ضربت بها التِّيهَ ضرب القِما رِ إمّا لهـذا وإمّا لِـذا[26]

ثم صور لنا هذه النّياق السريعة وهي تطوي الأرض طيا، وتقطع الموضع تلو الآخر دون توقف أو راحة، وفي هذا دليل على سرعتها حتى إنّها أوصلته إلى العراق من دون أن يشعر ببعد المسافة المقطوعة، وهذا دليل آخر على سرعة هذه النّياق التي شبّهها بريح الدّبور، وهي ريح مهبُّها الغرب، حيث يقول:

فمرَّت بنخلٍ وفي ركبهــا عن العالمـين وعنه غِـنى
وأمسـت تخيُّرنا بالنِّقــا بِ وادي المياه ووادي القرى
وقلنا لها أين أرض العــراق فقالــت ونحن بِتُرْبــانَ ها
وهبَّت بجسمي هبوب الدَبو ر مستقبــلات مهب الصَّبا
روامي الكِفاف وكَبْد الوِهاد وجار البُوَيْرَة وادي الغضـا
ولاح لها صَوَرٌ والصَّبــاحَ ولاح الشَّغورُ لها والضّحى
ومسَّى الجُميعِيَّ دِئداؤهــا وغادى الأضارعَ ثمَّ الدّنــا
فيالك ليلا على أعكــش أحمّ البلاد خَفِـيَّ الصُّـوَى
وردنا الرُّهَيْمَـة في جَـوزه وباقيــه أكثر ممّـا مضـى[27]

فتوالي الأماكن في هذه الأبيات " النخل، النِّقاب، وادي المياه، وادي القرى، تربان، البويرة، وادي الغضا، صور، الشَّغور، الجُميعي، الأضارع، الدنا، الرهيمة، " يقابله توالي الأزمنة:" أمست، الصباح، الضحى، مسّى، الليل "، فرغم كثرة الأماكن وبُعد بعضها عن بعضها الآخر إلاّ أنّ نّياق المتنبي ورفقته قطعتها في وقت وجيز قِوامه يوم وليلة، وهذا دليل على سرعتها.

ما يلاحظ على الأبيات السابقة كلها أنّها تدور حول وصف أبي الطيّب المتنبي للنّوق التي كانت مطيَّته ومطيّة رفاقه في سفرهم من مصر إلى العراق، فكلُّ الأوصاف التي ساقها لها ولمشيتها تدل على السرعة (الهيدبا، نجاة، البجاوية، خنوف)، وكل التشبيهات التي كانت النّياق مشبَّها فيها كان المشبه به فيها يدل على السرعة خاصة لمّا شبّهها بريح الدبور، كما أنّ معنى السرعة يتّضح في هذه الأبيات من خلال العلاقة بين الحيّز المكاني والحيّز الزماني، فالحيّز المكاني فيه أماكن كثيرة متباعدة، بينما كان حيّز الزمان قصيرا يمتد من مساء اليوم الأول إلى مساء اليوم الذي يليه.

ولنأخذ مثالا على بيان المتنبي لسرعة النّوق، حتّى كأنّ الأماكن المتنائية عندها لفرط سرعتها مكان واحد، وهذا المثال هو قوله:

وقلنا لها أين أرض العــراق فقالــت ونحن بِتُرْبــانَ ها

قال الشّيخ ناصيف اليازجي في شرحه:" وها حرف تنبيه، أي قلنا للنّياق ونحن بهذا الموضع: أين أرض العراق لأنّا كنّا نقصدها فقالت: ها هي ذه أي بالقرب منّا؛ يشير إلى سرعة النّياق وقوّتها على السّير حتّى أنّ هذه المسافة البعيدة ليست عندها بشيء"[28]

لقد أحدث المتنبّي تناسقا عجيبا بين موضوعات هذه القصيدة وبين وزنها وقافيتها، تناسقا قال عنه طه حسين: "وأظهر ما يعجبني أنا من هذه القصيدة ملاءمة الشّاعر بين موضوعها أو موضوعاتها وبين ما اصطنع فيها من الوزن والقافية، فهو قد أراد أن يصف هربا بعيدا ممعنا في السّرعة، ممعنا في البعد، وأن يفخر بنفسه فخرا يجب أن يذيع و يشيع ويملأ الآفاق في أسرع وقت، وأن يهجو عدوّه هجاء لاذعا يجب أن يسير ويطير في أسرع وقت أيضا، فاصطنع لهذا كلّه هذا البحر الذي يصوّر السّرعة والعدو، وهذه القافية المقصورة التي ينطلق بها حرف اللّين إلى غير حدّ، وما أسرع ما سارت القصيدة وطارت حتّى ملأت الآفاق، وانطلقت بها الألسنة في كلّ مكان"[29]

3.1.3قصيدة قالها المتنبي في صِباه يمدح السّلطان بعد أن سجنه مستعطفا إيّاه:

ومطلع هذه القصيدة هو:

أيَا خَدَّدَ اللَّهُ وَرْدَ الخُدودِ وقدّ قدودَ الحسانِ القُدودِ[30]

ومناسبة هذه القصيدة كما يظهر من العنوان هي استعطاف المتنبّي للسلطان حتّى يخرجه من السّجن، فكتب هذه القصيدة " يترفّق لغرضه بالحيلة، حتّى يخرج من السّجن، إذ وجد أن لا جدوى عليه من الصبر على السّجن"[31]، وعادم الصبر هو مستعجل بالضّرورة.

وكذلك يتجلّى معنى السرعة في هذه القصيدة في حديث المتنبي عن فرار جيش الروم من جيش السلطان، فوظّف لفظة " ولّى " حيث تظهر السرعة عندما عبّر المتنبي عن هذا التّولّي بتشبيهه لجيش السلطان بالأسُود وجيش الأعداء بالأغنام، ومن خلال هذا التشبيه تظهر لنا سرعة التولّي، فالطّريدة عندما ترى الأسد تسرع فارّة، فما بالك إذا زأر كما هو الحال في بيتَي المتنبي حيث يقول من المتقارب:

فولّى بأشياعه الخَرْشَــنِيُّ كَشاءٍ أحسَّ بزأر الأسـود

يَرَوْنَ مِنَ الذُّعْرِ صَوْتَ الرِّيَاحِ صَهِيلَ الجِياد وخَفْقَ البُنُود[32]

ففي هذين البيتين اجتمع كل ما يدل على السرعة كالمفردات " ولّى " والتشبيه والمعاني.

ليصور الشاعر في بيت آخر من هذه القصيدة سرعة وصول ممدوحه وأهله إلى المجد والسيادة وهم في المهود، حيث يقول:

سعوا للمعالي وهم صِبية وسادوا وجادوا وهم في المهود[33]

ثم يخاطب المتنبي السلطان الذي سجنه مبيّنا له بأنّه صبيٌّ غير بالغ لم تجب عليه الصلاة بعد، لذلك فإنّ سجنه فيه سرعة وتعجّل حيث يقول:

تعجَّل فيَّ وجوبَ الحدود وَحدِّيَ قبل وجوب السّجود

وقيل عدوتَ على العالمي نَ بين وِلادي وبين القعــود[34]

4.1.3 قصيدة المتنبي التي قالها لما جاءه رسول سيف الدولة مستعجلا ومعه رقعة فيها بيتان في كتمان السّر يسأله إجازتهما:

تعكس لنا مناسبة القصيدة معنى السرعة لأنها كانت ردّا من المتنبي على رسالة مستعجلة من سيف الدولة، والاستعجال فيه سرعة، وهذا ما يُلزم المتنبي أن يكون ردّه مستعجلا أيضا، فكانت القصيدة من المتقارب، ولعلّ أبرز ما يؤكّد معنى السرعة في هذه القصيدة قوله:

أتانيَ رسولك مستعجلا فلبّاه شعري الذي أذْخَرُ

ولو كان يوم وغًى قاتمـا لَلبّاه سيفيَ والأشقــر[35]

فمن خلال البيتين يظهر لنا معنى السرعة من الطرفين، سرعة رسول سيف الدولة المستعجل، وسرعة إجابة المتنبي التي تتّضح من خلال لفظة " لبّاه "، وليؤكد المتنبي سرعته في الرد على رسالة سيف الدولة وأنه رهن إشارته، بيّن له أنه لو دعاه إلى حرب ضروس لأسرع في إجابته، فما بالك إذا كانت دعوة سيف الدولة للمتنبي لنظم قصيدة، إذ لا يقارن الفعل بالقول.

5.1.3قصيدة المتنبي التي أجاب فيها سيف الدولة عند استدعائه له: وتظهر لنا السرعة في هذه القصيدة من خلال أمرين:

الأول: مناسبتها فهي رد من المتنبي على دعوة سيف الدولة للحضور عنده فسرّع الرد قولا قبل حضوره فعلا.

الثاني: هو سرعة فهم المتنبي لمضمون الكتاب الذي أرسله له سيف الدولة، حيث يرى محمود محمد شاكر أنّ سيف الدولة كتب إلى أبي الطيب – بعد قصيدة نظمها المتنبي أغراه فيها بغزو العراق – كتابا يشرح له فيه الأمر غير مصرّح بشيء، ويذكر الصعوبات التي حالت دون غرضهما، وأنه لولا تلك الصعوبات لما تأخر عن عزيمته، ولوفّ لأبي الطيب بالذي وعده من غزو العراق، غير أن سيف الدولة لم يوضح كل مراده في كتابه للمتنبي مخافة أن يقع في يد الأعداء، ولذلك طلب منه القدوم عليه في الشام ليشرح له مراده من غير كناية ولا تعريض، ولكنّ أبا الطيب كان قد فهم ما وراء كنايات سيف الدولة وإشاراته الخفيّة[36] فكتب إليه هذه القصيدة من المتقارب التي مطلعها:

فهمت الكتاب أبرَّ الكتب فسمعا لأمر أمير العـرب

وطوعا له وابتهاجا بـه وإنْ قصَّر الفعل عما وجب[37]

6.1.3قصيدة المتنبي التي قالها بعد أن استبطأ سيف الدولة مدحه واستنكر ذلك:

مناسبة القصيدة تدل على السرعة لأنّ المتنبي قال هذه القصيدة بعد أن استبطأ سيف الدولة مدحه، وما دام المقام مقام اعتذار، كان على المتنبي أن يُسرّع في الرد اعتذارا على الاستبطاء، كما أنّ المتنبي ذكّر سيف الدولة في هذه القصيدة بالقصائد الكثيرة التي مدحه بها في الماضي مبيّنا سرعة انتِشارها بين الناس، فلم تمنع الجبال والبحار سيرها، حيث يقول من المتقارب:

وعندي لك الشُرَّد السائرا تُ لا يختصِصْنَ من الأرض دارا
قوافٍ إذا سِرنَ من مِقْولي وَثبنَ الجبال وخُضن البحـارا[38]

ليواصل المتنبي مدح سيف الدولة في هذه القصيدة، ومن بين الصفات التي خصّها بالمدح أنّه أنشط الناس وأسرعهم عند الجود حيث يقول:

أشدّهم في النّدى هِزّة وأبعدهم في عدوٍّ مُغارا[39]

7.1.3قصيدة المتنبي التي قالها في مدح بدربن عمّاروهو يومئذ يتولّى حرب طبريّة

ممّا مدح أبو الطّيب به "بدر بن عمّار" في هذه القصيدة جودُه، وكثرة شنّه للحملات على أعدائه؛ وفي ذلك يقول من المتقارب:

وَرُبَّتَمَا حَمْلَةٍ فِي الوَغَى رَدَدْتَ بِهَا الذُّبَّل السُّمْرَ سُودا
وَمَالٍ وَهَبْتَ بِلَا مَوْعِدٍ وَقِرْنٍ سَبَقْتَ إِلَيْهِ الوَعِيدا
بِهَجْرِ سُيُوفِكَ أَغْمَادَهَا تَمَنَّى الطُّلَى أَنْ تَكُونَ الغُمودَا
إلى الهامِ تُصْدُر عَنْ مِثْلِهِ تَرَى صَدَراً عنْ وُرودٍ وُرُودا[40]

ويتجلّى معنى السّرعة في هذه الأبيات في مقابلة قوله "حملة" في صدر البيت الأوّل بـ "رددت" في عجزه، فما هو إلّا أن يحمل على أعدائه حتّى يردّ رماحه وقد استحال لونها ممّا غشيها من دمائهم، واختصار ذلك في بيت واحد يدلّ على سرعة إبادته لأعدائه في حملاته الكثيرة التي يشنّها عليهم والتي يدلّ عليها الحرف "ربّ" الذي يفيد التّكثير هنا.

وكذلك يتجلّى معنى السّرعة في أبيات هذه القصيدة في إعطاء ممدوحه المال قبل أن يعد من يعطيه، فكأنّه لا يملك وقتا للوعد فهو مستعجل بالإفضال، وهذا كناية عن سخائه وكرمه، و يظهر كذلك معنى السرعة في سبق الممدوح إلى قِرنه بالإهلاك قبل أن يوعده بذلك، ولا تخفى دلالة المصدر "سَبْق" على السّرعة.

8.1.3قصيدة قالها المُتنبي في صباه على لسان تنوخيّ سأله ذلك:

وهذه القصيدة مؤلّفة من تسعة أبيات وموضوعها فخر التّنوخيّ – الذي ينظم المتنبي على لسانه- بنفسه، وآخر ثلاثة أبيات منها هي:

يسابِقُ سيفي منايا العِبادِ إليهم كأنّهُما في رِهان
يرى حدُّهُ غامِضاتِ القُلوبِ إذا كنتُ في هبْوةٍ لا أراني

سأجعله حكماً في النفوس ولو ناب عنه لساني كفاني[41]

فجعل ثلث القصيدة في الكلام عن السّيف الذي استهلّ أوصافه بأنّه يسابق المنايا - التي خُلقت لأخذ أرواح العباد - إلى ما خلقت له، وشبّه الاثنين – أي السيف والمنايا- بفرسي الرّهان، اللّذين يسابق أحدهما الآخر حتّى يصل قبله إلى الغاية، ولا يخفى ما في ذلك من جلاء لمعنى السّرعة.

2.3 متقاربيّات المتنبّي التي لا يظهر فيها معنى السّرعة جليّا:

في ديوان المتنبي قصيدتان منظومتان على بحر المتقارب، وليس في مناسبة قولهما ولا في ألفاظهما ما يدلّ على معنى السرعة دلالة جليّة كالتي نلحظها في المتقاربيّات السّابقة، ولكنّهما تنظران إلى معنى السّرعة من طرف خفيٍّ، لا نصل إليه إلّا بنوع من التّأويل، وفيما يلي ذكر هاتين القصيدتين:

1.2.3قصيدة قالها قصيدة قالها المُتنبي بعد سقوط خيمة ضربت على سيف الدّولة وخوض النّاس في ذلك:

ومطلع هذه القصيدة هو:

أَيَقدَحُ في الخَيمَةِ العُذَّلُ وَتَشمَلُ مَن دَهرَها يَشمَلُ[42]

ويمكن أن نتأوّل معنى السّرعة في مناسبة القصيدة بمسارعة المتنبي إلى قطع ألسنة النّاس الذين أكثروا الكلام بعد سقوط الخيمة التي ضربت على سيف الدّولة، وذلك بقلب ما ظاهره قبح وشين، إلى ما ظاهره حسن وزين، وكذلك فعل حين قال:

وَلَمَّا أمرتَ بِتَطْنِيْبِها أُشيْعَ بأَنَّكَ لا تَرْحَلُ

فَمَا اعْتَمَدَ اللهُ تَقْويضَها وَلَكِنْ أشَارَ بما تَفْعَلُ

وَعَرَّفَ أنَّكَ مِنْ هَمِّه وأنَّكَ في نَصْرِهِ تَرْفُلُ[43]

ومعنى هذه الأبيات التي يخاطب بها المتنبّي سيف الدّولة هو أنّك لمّا أمرت بهذه الخيمة أن تنصب أُشيع بين النّاس أنّك لست راحلا للغزو، فأسقط الله عزّ وجلّ الخيمة ليس بقصد إسقاطها وإنّما أراد بذلك أن يشير عليك بما ينبغي ما تفعل من معاجلة النّهوض والمسير للغزو وليكون رحيلك عن أمره، وليعرّف النّاس بتقويض الخيمة أنّه مهتمّ بك يريد إرشادك إلى ما تفعل، وأنّه آخذ بنصرتك على أعدائه[44].

ويمكن أن نتأوّل معنى السّرعة من هذه الأبيات من سقوط الخيمة قبل انتهاء مدّة إقامة سيف الدّولة، ونسبة الشّاعر ذلك إلى الله عزّ وجلّ الذي أشار على سيف الدّولة بذلك لمعاجلة النهوض للغزو – حسب تعبير الشيخ ناصيف اليازجي – والمعاجلة تقتضي السّرعة.

2.2.3قصيدة قالها المُتنبي يرثي فاتكا بعدما أراه صديقه تفّاحة كُتِب عليها اسم فاتك:

ومطلع هذه القصيدة هو:

يُذَكِّرُني فاتِكاً حِلمُهُ وَشَيءٌ مِنَ النَدِّ فيهِ اِسمُهُ[45]

ويمكن تأوُّل معنى السّرعة في مناسبة هذه القصيدة في مسارعة المتنبي إلى رثاء أبي شجاع فاتك بمجرد رؤية اسمه على التّفاحة التي أراه إيّاها صديقه.

وممّا قاله المتنبّي في هذه القصيدة:

وَأَيُّ فَتىً سَلَبَتنِي المَنُونُ وَلَم تَدرِ ما وَلَدَتْ أُمُّهُ

بِمِصرَ مُلُوكٌ لَهُمْ ما لَهُ وَلَكِنَّهُم ما لَهُمْ هَمُّهُ

وأَشرَفُ مِن عَيشِهِمْ مَوتُهُ وَأَنفَعُ مِنْ وُجدِهِمْ عُدمُهُ[46]

ويمكن تأوّل معنى السرعة في هذه الأبيات في قول المتنبي: وَأَيَّ فَتىً سَلَبَتني المَنونُ، فكأنّ المنونَ استعجلت بأخذ المرثيَّ، وكذلك في مقارنته المرثي بملوك مصر، فكأنّ الشّاعر رأى موت فاتك سريعا مع شرفه، وأنّه يستحقّ العيش أكثر من أولئك الملوك.

4. خاتمة:

ممّا سبق يتضح لنا:

- اتّكاء المتنبي على بحر المتقارب المتميز بإيقاعاته السريعة لبلورة المعاني الدالة على السرعة سواء من خلال المعاني في حد ذاتها أو من خلال الألفاظ أو من خلال مناسبة القصائد أو من خلال كل ذلك مجتمعا، فكان بحر المتقارب أنسب للتعبير عن معاني السرعة، لذا اختاره المتنبي في مقامات التعبير عنها.

- صحيح أن الوزن الشعري الواحد يستوعب الكثير من المعاني، غير أنّه يصلح أكثر لمعان دون أخرى، وهذا ما وقفنا عليه في قصائد المتنبي المنظومة على بحر المتقارب.

- بحر المتقارب كسائر البحور يُعبَّر به عن مختلف المعاني ولكنّه كان أنسب وأنجع في التعبير عن المعاني الدالّة على السرعة، لكونه بحرا شعريّا مطّرد التفاعيل منسابا، سريع الإيقاع، متقارب الأجزاء، موحّد التّفعيلة ممّا يسهل على الشّاعر القصد إلى غرضه دون قيود قد يفرضها اختلاف التفاعيل.

- لعلّ ما يثبت دلالة بحر المتقارب على السّرعة، أن ديوان المتنبي تضمّن عشْر قصائد من بحر المتقارب - دون الأخذ بعين الاعتبار المقطوعات التي تقلّ عن سبعة أبيات – دلّت ثمان منها على معنى السّرعة دلالة صريحة، أي ما نسبته 80%، ولم تدلّ القصيدتان الأخريان على ذلك المعنى دلالة بيّنة مستغنية عن التأويل.

5. الهوامش:

[1]- عن بناء القصيدة العربية الحديثة، علي عشري زايد، (1978م)، دار العلوم، القاهرة، ط1، ص6.

[2] - منهاج البلغاء وسراج الادباء، حازم القرطاجنّي، (دت)، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط3، ص 266.

[3]- نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- التحرير الأدبي- دراسات نظرية ونماذج تطبيقية-، حسين علي محمد،(2011م)، مكتبة العبيكان، الرّياض، ط7، ص78.

[5]- المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، إميل بديع يعقوب، (1991م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ص 124.

[6]- نفسه، ص 111.

[7]- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، القيرواني ابن رشيق، (1955م)، المطبعة التجارية، مصر، ج2، ص 304.

[8]- منهاج البلغاء وسراج الادباء، القرطاجنّي، ص 168.

[9]- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، المجذوب، عبدالله الطيب،(1970م)، دار الفكر، بيروت، ص 313.

[10]- العروض تهذيبه وإعادة تدوينه، الحنفي جلال، (1978م)، مطبعة العاني، بغداد، ص187.

[11]- ينظر: أوزان الشعر، حركات مصطفى، أوزان الشعر، (1998م)، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، ص141.

[12] - ينظر: الأثر الموسيقي في إبداع الدّلالة الشعريّة من خلال ديوان رحيق .. من أحاديث الفؤاد لسليم كرّام، العربي عبد القادر، 2022م، مجلّة المزهر، المركز الجامعي سي الحوّاس بريكة، المجلد 3، العدد6، ص53.

[13] - ديوان المتنبي، المتنبي أبو الطّيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي، (1983م)، دار بيروت للطباعة والنّشر، بيروت، ص 269.

[14]- نفسه، ص270.

[15]- المصدر السّابق، الصفحة نفسها.

[16]- نفسه، الصفحة نفسها.

[17]- شرح ديوان المتنبي، البرقوقي عبد الرحمان،(1986م)، دار الكتاب العربي، بيروت، ج1، ص 156.

[18]- ديوان المتنبي، ص270.

[19]- شرح ديوان المتنبي، الواحدي، تحقيق: د. ياسين الأيوبي، د.قصي الحسين،(1999م)، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، ص 1122.

[20]- ديوان المتنبي، ص 271

[21]- نفسه، ص 273

[22]- شرح ديوان المتنبي، الواحدي، مج3، ص1131 .

[23]- ديوان المتنبي، ص273.

[24]- شرح ديوان المتنبي، الواحدي، مج4، ص 1872.

[25]- ديوان المتنبي، ص509.

[26]- نفسه، الصّفحة نفسها.

[27]- المصدر السّابق، ص ص 510، 510.

[28]- العرف الطّيب في شرح ديوان أبي الطّيب، اليازجي ناصيف، (دت)، تحقيق: د. عمر فاروق الطّباع، دار الأرقم، بيروت، ص 563.

[29]- مع المتنبّي، طه حسين، (دت)، مؤسّسة هنداوي، القاهرة، ص 289.

[30]- ديوان المتنبي، ص53.

[31]- المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر،(1978م)، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، مصر، ص54.

[32]- ديوان المتنبي، ص54.

[33]- نفسه، الصّفحة نفسها.

[34]- نفسه، الصّفحة نفسها.

[35]- المصدر السّابق، ص 354.

[36]- ينظر: المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، ص 330.

[37]- ديوان المتنبي، ص437.

[38]- المصدر السّابق، ص ص 365، 366.

[39]- نفسه، ص 366.

[40]- نفسه، ص ص 133، 134.

[41]- نفسه، ص33.

[42]- المصدر السّابق، ص306.

[43]- نفسه، ص307.

[44]- ينظر: العرف الطّيب في شرح ديوان أبي الطّيب، اليازجي ناصيف، ص 337.

[45]- ديوان المتنبي، ص 499.

[46]- نفسه، الصّفحة نفسها.

6. قائمة المراجع:

أوّلا: الكتب:

1- أوزان الشعر، حركات مصطفى، أوزان الشعر، (1998م)، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط.1

2- التحرير الأدبي- دراسات نظرية ونماذج تطبيقية-، حسين علي محمد،(2011م)، مكتبة العبيكان، الرّياض، ط.7

3- ديوان المتنبي، المتنبي أبو الطّيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي، (1983م)، دار بيروت للطباعة والنّشر، بيروت.

4- شرح ديوان المتنبي، البرقوقي عبد الرحمان،(1986م)، دار الكتاب العربي، بيروت.

5- شرح ديوان المتنبي، الواحدي، تحقيق: د. ياسين الأيوبي، د.قصي الحسين،(1999م)، دار الرائد العربي، بيروت، ط.1

6- العرف الطّيب في شرح ديوان أبي الطّيب، اليازجي ناصيف، (دت)، تحقيق: د. عمر فاروق الطّباع، دار الأرقم، بيروت.

7- العروض تهذيبه وإعادة تدوينه، الحنفي جلال، (1978م)، مطبعة العاني، بغداد.

8- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، القيرواني ابن رشيق، (1955م)، المطبعة التجارية، مصر.

9- عن بناء القصيدة العربية الحديثة، علي عشري زايد، (1978م)، دار العلوم، القاهرة، ط.1

10- المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر،(1978م)، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، مصر.

11- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، المجذوب، عبدالله الطيب،(1970م)، دار الفكر، بيروت.

12- مع المتنبّي، طه حسين، (دت)، مؤسّسة هنداوي، القاهرة.

13- المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، إميل بديع يعقوب، (1991م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1

14- منهاج البلغاء وسراج الادباء، حازم القرطاجنّي، (دت)، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط3.

ثانيا: المقالات:

1- الأثر الموسيقي في إبداع الدّلالة الشعريّة من خلال ديوان رحيق .. من أحاديث الفؤاد لسليم كرّام، العربي عبد القادر، 2022م، مجلّة المزهر، المركز الجامعي سي الحوّاس بريكة، المجلد 3، العدد6، ص53-